

الشعر يجمع بين الفكرة وما هو محس . ولما كانت مهمة الشعر هي « تفسير العالم الطبيعي » . وفي نفس الوقت « تفسير للعالم الأخلاقي » - بالشعور وإدراك الملموس ، على أساس القيم الإنسانية - فإن الشعر يكون بهذا منظرًا للتجربة الإنسانية نفسها . ويصر أرنولد على أننا في حياتنا العملية ، دائماً ما نرى الأشياء ونشعر بها في ضوء ما نضعه في الاعتبار عن مدى الرغبة فيها . أو قيمتها لنا : ونحن نجرب الأشياء ، فإن الملموس لا ينفصل عن الفكرة - أى عن تفسيرها وتقييمها . ولا يمكن أن يحدث انفصال إذا ما كانت (تجربتنا) أصيلة وحقيقية . لا مضطربة ومرتبكة . الحقيقة ، أننا لا نخوض تجربة ذات معنى ، إذا ما قفنا بالتفكير والتقييم بشكل محض على مستوى تجريدي ، ومنعزلين عن شئوننا اليومية ، وعند ذلك نعيش ، ونفهم ، ونستجيب على مستوى ملموس ودون ارتباط بأى شيء سبق أن أدركناه واعتقدنا في قيمته . وبهذا المفهوم - وليس بتضمين تعليمي ساذج - يمكن القول بأن الشعر يستطيع أن يتناول كل المشكلات ، وأكثرها أهمية وتأثيراً - « والمشكلة هي ، كيفية العيش » . وعند هذا الحد ، يعتبر الشعر « أخلاقياً » في وظيفته . و « مشكلة كيف نعيش » - كما قال أرنولد في مقاله عن وردزويرث - إنما هي نفسها فكرة أخلاقية ، وهي مشكلة تهم كل إنسان بدرجة كبيرة ، والتي ينشغل بها دائماً بطريقة أو بأخرى . ويمكن - بالطبع - أن يحظى مصطلح (أخلاق) باعتبار كبير . لأن عظمة الشعر الإنجليزي في أحسن حالاته ، تكمن في طاقته الخيالية القوية ، التي يربط بها الأفكار الأخلاقية بالحياة الملموسة .

وعلى هذا ، كان أرنولد - عند تقدير وتمييز قصائد معينة ، أو شعراء معينين - ينقاد إلى اعتبار تطبيق الأفكار بشكل نبيل وعميق على الحياة « كأهم جزء في العظمة الشعرية » . وعلى هذا ، يجب على الشعر - قبل كل شيء - أن يعمل داخل وخلال ما هو ملموس . فاستنكار أرنولد للشعر التعليمي التجريدي - مثلما نجد في « نزهة » ورد زويرث ، أو في غالبية شعر القرن الثامن عشر - وافتقار أرنولد إلى التعاطف مع الأسلوب الشعري النيوكلاسي بوجه عام ، إنما يقومان على اعتقاده بأنها يفتقدان إلى كفاية الملاذ الملموس . وملحوظاته على مسرحيته الشعرية « أمبدوكليس » ، تشير إلى وجهة نظر مشابهة : وهي أنها ليست دراما حية منبثقة - بالاحتمية - من موقف ملموس . ثانياً ، إن وجود « الأفكار » ذات الصلة الملائمة ، وذات المعنى الدال . إنما هو أمر طبيعي ، متوقع في الشعر الجدير بالاعتبار . ويمكن القول - على سبيل المثال - بأن